ذلك الشر الحاضر كما تصوره في من وقع في هول فانه يعوذ بالله ثم يلتفت الى اسباب
النجاة وهذا هو الاقرب الى الخطور بالبال عند تلاوة القرآن فيما نجده ولم نكن نفهم غيره
من النظر في كتب التفسير فان قلت ــــــ وان التراخي على المعنى الاخير فلت ابينه
ماذكرناه من تصور فضاعة التورط في الشر الذي يجب دفعه بكل ممكن فالذي استعمل
بطلب الاستغفار عن قطع اسباب الشر بالتوبة كانه ربما تلفظ بالاستغفار قد تراخى
مدة طويلة عن الامر المهم الذي لا يحتمل التراخي عنه وفيه زيادة في تفظيع الذنب
وتهويله وهو اوفق شيء بالمقام وما يدرك زيادة الملام لمن باشر ادراكه على التمام ووجه
آخر هو ان الاشارة الى البون بين فعل الرب بعبده ورحمته وفضله وبين سعي العبد كانه
قيل انتم في خطر عظيم وهول مهول والنجاة في امرين احدهما هو العمدة وهو
رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء وفضله العظيم ورافته وعفوه وغفرانه
والآخر تبع لا يستقل بالنجاة وهو سعي العبد فكانه قال اطلبوا النجاة بالحصن الحصين وهو
الالتجاء الى الله وطلب فضله ثم كلوا مطلبكم بموافقته فيما امركم به ونهاكم عنه فالتراخي يعني
بعد ما بين الامرين في تحصيل النجاة فابدؤا بالعصمة منهما ثم ان فزتم به فالتفتوا الى
التكميل بما هو من مساعيكم المتأخر رتبته تأخرا كثيرا في تحصيل المقصود والله سبحانه اعلم قوله
تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ــــــ اخرجه الشيخان عن
ابن مسعود رضه قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي
كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع
ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا
اخفينا فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الآية
والمعنى هنا يثنون صدورهم قصدا للاخفاء وكذلك استغشاء الثياب وقد مر في
الكشاف لفظ يريدون وقال انه مثل فيضرب فانجحت وقال ابو السعود ليس مثله
وزعم ابو السعود ان الملجي للزمخشري الى التقدير ان الثني لا يصلح سببا للاستخفا

واقول

واقول لعل الزمخشري انما اراد بيان حال المفعول له وانه لا بد فيه من تقدم فعل
قلبي مثل الارادة والكراهة وهذا وان كان في مختصرات النحو فالزمخشري كثيرا ما
يجعل ذلك لسان اصل القواعد وتقريرها وليس هنا خلاف الظاهر انما المعنى يثنون
صدورهم للاستخفاء وذلك بسبب جهلهم الذي نعي عليهم قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها اذا ركب الله سبحانه الحيوان من دابة او طائر على حال يحتاج معه الى
الغذاء واراد بقيته في الحيوة لزم في الحكمة ان يدفع عنه ضرر الجوع والا كان اضرارا
من الله سبحانه وهو ظلم تعالى عنه وهذا تقييد ايضا بما لو لم يرد ان يتم عنه او
يبتليه كسائر الالام والكراهة على لا بد منه وعلى اي حاله بسهولة او بتعب وفي الآية
دليل على ان الرزق انما هو الحلال لان الله تعالى لا يضمن شيئا ثم يجعله مما نهي عنه وقول
الاشاعرة لو اقتصر انسان على الحرام عمره لزم ان الله لم يرزقه وهو مصادم
للآية مخالطة لان الله سبحانه ضمن ان يمكنه منه وقد فعل فقد رزقه ومكنه مما يسمى
رزقا ومكنه من الحرام ابتلاء فاختار ما ليس برزق على الرزق قوله تعالى افمن
كان على بينة من ربه اي بصيرة وبرهان وهو شهادة العقل التي لا تجور ويتصل به
والضمير لمن شاهد من الله سبحانه هو ما جاء به محمد صلعم وما شهد بصحة نبوته من
الادلة ونحو ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده وكان من قبل
هذا المتصف بما ذكر كتاب موسى هو قدوة للمتبع ورحمة للمرحوم فهذا الذي على
بينة من عليه قد حف به الشاهد ان من قبله وبعده ويصح كون ضمير من قبله للشاهد
الثاني والمآل واحد ثم قال اولئك الذين هذا شانهم هم الاحقاء بالايمان بالقرآن
او بالنبي صلعم لان الكلام ناظر الى قوله تعالى ام يقولون افتراه وهو مقتضى
للقدح في القرآن وفي من شهد له ومن يكفر به كالقائلين افتراه فلا تك في مرية
منه اذا رجع الضمير فيه الى القرآن وهو الاظهر ويرجح ان الضمير في يؤمنون به
له وهو الاظهر ايضا وقد اختلف تفسيرهم لهذه الآية وهذا اظهر ما رايته

فيه دلالة هذه الآية ان الرزق انما هو الحلال

ويتلوه م